آرام

مدارات المكان والتحول

مدارات المكان والتحول

آرام

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى _ 2007

بدايات

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق – سوريا

إعداد النسخة الإلكترونية : أفين شاهين

كُتبت هذه النصوص بين عامي 2002-2004

Aramh001@gmail.com

صدر أيضاً للشاعر : هلوسات لموائد العقل 2009

آرام

مدارات المكان والتحول

هذه هي معموديتي

هذه هي معموديّتي

فاقرؤوا فاتحةَ الغيبِ

ومذبحة الصدى،

اهتدوا يا حفاة الأرض إلى كتاب الريّح ،

اقرؤوا الماء الكلمة،

صيروا على قيد المعنى.

لا جهات في يدي

أبدأُ رحلة الأعماق،

لا ملاذ في حضرة الركام، أنا الصاعد حتفي معي،

وأول الموت ولادة.

فليحتفِ بنا شريانُ الوقت على باب الكلام

الأخرس،

وليقتفِ الصمتُ الهاربُ

الأبديُّ جثمانَ الإشارةِ

مقتولاً بفحواه.

لا سواد، فوضى بياضٍ يخزنُ القيامة في رئتيه،

لا نـهايةَ ، زحفٌ ألوهيٌ على مسامير تشبّثه.

اليابسةُ ماءٌ طَموحٌ، الماءُ رملٌ تحرّر

وما بينهما

سدى.

صفتي تنفيني، بين جهلٍ ومعرفةٍ،

حبلُ توجّسٍ وأقصرُ الطّرقِ أطولها.

هذه هي معموديّتي،

التي ليست لي، وليست لأحدٍ،

إنّها لنفسها التي ليست لها. أتممها قصوراً بلغةٍ

لا تحتويها،

وأدشّنُ بها الكناية.

في البدءِ كان القبر

والعالمُ توابيتٌ تتنافسُ،

لا فضاء،

إنّها العتَبَةُ تتثاءب.

لا حلم إنّه دمُ الرّوح، لا أبد إنّه العدمُ

يركض بعكسه.

الإنسانُ حجرٌ يتذكّر.

لا كتابةَ بل هذيانٌ على شكلِ حروف.

لا شرقَ ولا غربَ، لا شمالَ ولا جنوب،

تلك أشياءٌ تسخرُ من نفسها.

العينُ لا ترى، الأذنُ لا تسمعُ، القلبُ لا

ينبضُ، الرّوحُ لا تطيُر،

العقلُ هبوطنا الثّرثارُ

طوبى لك أيّها الوهمُ، يا حقيقتنا.

هذه هي معموديّتي،

فُتاتُ شهيقٍ في مدارٍ يُحتضر، نبوءَةُ الفراغ،

معراجٌ يخبزُ التّأويل.

اليقينُ

شكٌّ تطوّرَ،

وأقولُ: مضمرٌ ما أقولُ

فيما لا أقول،

وأقولُ:

أغمض عينيك والتقط خيوطَ الآفاق وحرّك

المجرّة.

الهنيهةُ فحمُ الزّمنِ

وهُويّته، والآن فرنُ التّكوين.

السّماءُ فوق وتحت، والشّرُ خيرٌ أيضاً.

المكانُ زمانُنا الصّلبُ، المكانُ زمنٌ تحنّط،

والهواءُ المسطّحُ زجاجٌ لا يخترقه الضّوء.

ابدأ ولوجَك أيّها الأثير، وادخل مسامَ اللّحظةِ

كما أنت،

تسرّب في أوردة الأشياء انتظاراً وقل : أنا أكثرُ

من كيانٍ ،

قل : كياني

قشرةٌ تبدّدت .

للوقت قيحُ البدايات،

والحبرُ بلغمُ انتباهنا،

يا مصادفةَ، أنت الرّكوعُ المحض، أنتِ قفصنا

الصّدري.

كن أفقياً يا وتَرَ الرّيح، كي لا تتأخّر، البكارَةُ

حجابكَ الفطريّ.

هكذا تستحضرُ الكمُون، وتنقل إليه عدوى

الظّلال.

وتعرّفُ الحياةَ بأنّها موتٌ مستمرّ، الذّروةَ بأنّها

القاعدة.

هذه هي معموديّتي،

طمسٌ صريحٌ لمسوّدةِ المعادلة،

طلاقُ الوهلةِ الأولى،

انتحارُ قابلةِ العبارة، تحالفُ الظّنِ والفطنةِ

والغيب،

تأبينُ الشّكل،

عقدُ خلافٍ مع الأجوبة،

احتفاءُ البعيد بالقريب،

احتفاءُ القريب بالبعيد.

قراءةٌ كتابةٌ للذي لم يُقرأ ولم يُكتب، للذي لم

يُكتب ولم يُقرأ.

أفضحكَ أيّها الغبارُ السّائدُ، وأستخفُّ بك.

أرجُ سلّمَ الحيلةِ،

أرجُكَ.

النّورُ لا يوضِحُ، النّورُ

يؤسّسُ الظّلمة.

أرتفعُ بهاويتي، وأتحصنُ بها، وأحيا

السّقوط في القمّة.

كلُّ قبضٍ هباءٌ

كلُّ وفاءٍ خيانةٌ

كلُّ حريّةٍ أسرٌ.

ابدأ ولوجَك الفضفاض،

وتنحَّ ، تنحَّ

لا خبرَ على السّياج،

تترصّدك الهجرةُ

وتُفتتنُ بأنقاضك،

لا حبرَ يضيءُ السحاب

تتلقّفكَ الترجمةُ.

لا هدنةَ بين جَرَسين،

الصّوتُ تلفيقٌ يختلسُ الرّماد.

ارقص لكَ صخرةُ المجاز،

لا بقدميكَ بل بمخيلتكَ،

واطحن عقلكَ المستنير، واعجنهُ بأعضائكَ

شظايا.

ارقص لك صخرةُ المجاز لا بمخيلتك،

بل بشظاياك المتبقية.

هي صرخةُ عابرٍ في مقبرة الهمس،

بطيئاً كأنّ به صرخاتُ من

فيها،

هي رجعُ نداءاتٍ يؤثّث بها خطواتهِ،

ويحفظُها لوصوله الّذي لن

يصل.

هي لوحُه اللّامرئيُّ يشطبهُ قبل أن يراه.

هي هو ،

الذي لم يتعرّف عليه.

هو هي ،

الّذي قال لها يوماً : بيني وبينكِ المطلق.

ابدأ ولوجَكَ أيّها المفتوحُ

على ضفّتيه نغماً مائيّاً موغلاً في مداه.

ليس لكَ ما يُطلّ عليكَ،

رطباً فاتراً يدوّنكَ على دفترِ القيء،

لك

أنتَ معموديّتي.

هذهِ هي معموديّتي،

هديرٌ مفارقٌ مقيمٌ

بنتُ مشيئتِها

أفتتحُ بها الأوج، وأتوّجُ بها الفناء.. جذرُ

الحكمة.

أطع رعشتكَ أيّها الهاجسُ،

وانثر ملامحكَ جناحاً جناحاً ولا

تنتهِ،

كن الحبرَ والرّيشةَ والأصابع،

كن كفنَ

الخلود.

هذه هي معموديّتي،

تقاسيمٌ على المعنى،

إقصاءُ الضدِّ

عن الضدّ،

تنقيحُ الرّغبةِ،

تمويهٌ أجتثّ به المنتهى،

صلصالٌ أزوّرُ به الموج،

ولا أرسو .

ألوّثكَ يا عقمَ البداهةِ وأوحي :

تطهّري بحيضكِ يا

وساوس.

الآن نصلّ يهبطُ بعاهاتهِ.

لا جهات في

يدي ،

أبدأُ رحلةَ الأعماق.

أنا الصّاعدُ حتفي معي،

وأوّلُ

الموتِ ولادة.

تشكيل

أفترضكَ وأجدكَ،

أمشي على صراطِكَ الحافي،

أمخرُ تيهَ سينائِكَ،

وأنصرفُ إلى نفسي كلّما أضعتك.

لا ليستمرّ الوضوءُ الحبريُّ إلى نعشك،

لكن حتّى أتفاجأ بفراغك .

أفترضكَ وأجدكَ،

وأغادرُني كلما جئتكَ متلهّفاً إلى حالي.

ليس بوسعي إلا أن أظلّ أنيناً في

حنجرتك،

وليس بوسعكَ إلا أن تكونَ نهمي الّذي ينامُ

واقفاً.

يشطُرنا المكانُ على نفقةِ الملح،

أختارُ قوسَ قزحٍ، وتدخلُ في

المركّبِ الغيبيّ عقيدةً سائلة،

ويظلّ خفّكَ المعرفيُّ متورّطاً في المقامرة .

حيّ على المكان، حيّ على

المكان .

أختارُ قوسَ قزحٍ، أقولُ: يا جدوى ما لونكِ ،

ابتلعينا أيّتها القشعريرةُ حتّى نقبِضَ على

وجوهِنا فيكِ .

تماسكي يا أقبية حتّى نحتالَ على ظلالِنا بأكبرِ

حيطةٍ،

باسمكِ أيّتها النّوستالجيا،

تدافعُ عن

وجودها الطّبقةُ الأولى من الأرض.

أختارُ قوسَ قزحي، أقول : أريكةً للذي يأتي،

مشطاً للأفقِ

الغائر.

يا أيائلَ الوقتِ تكاثري،

يا سحاب

تجمّع،

يا حقائبَ الرّملِ

انتحري،

وغادري يا ضفاف.

تهجرني قافلةٌ، تلاقيني قافلةٌ مهاجرةٌ،

أصيحُ ما ملامحكَ يا وجهي،

ما سبيلكَ يا سبيل ؟

أفترضكَ وأجدكَ،

أحجُّ إلى وهمي حلماً.. حلماً،

أوصيكَ، لا تردد اسمي يا غبار.

لا تفتحي نوافذكِ يا

طفولة.

أواصلُ ،

ليست

علاماتُ البحرِ، الموج والمراكب.

أفترضكَ وأجدكَ،

وأغادرني كلّما جئتكَ متلهّفاً إلى حالي.

ليس بوسعيَ إلا أن أظلّ أنيناً في

حنجرتك،

وليس بوسعك إلا أن تكون

نهمي الذي ينامُ واقفاً.

أشعلُ ناراً،

أبتكرُ ريحاً لا تتعب،

غايتي التّنقيب عن صفاتي،

ديانتي العاصفة،

قِبلتي الجهات

جميعُها.

أختارُ قوسَ قزحٍ، أقولُ يا جدوى ما لونكِ؟

يا ضياع أين تقيم؟ يا شُحرور الصّدفةِ أين

تعشّش؟

أبدأُ من تينةِ الفطنةِ،

أقنعُ البحارَ أنّ زرقتها ليست لها،

الصّحاري، أن

تتوقفَ عن الإنجاب.

أحملُ إزميلَ الرّغبةِ وأنحتُ للعالمِ قدمين،

أسحبُ مُلاءةَ الفحوى

وأقول:

لا تغطّي العبارة.

تبعثر يا إيقاع

انقرضي يا أنساق

أيّتها المرايا، أعطِ الأشياءَ شكلها الصّحيح.

أفترضكَ وأجدكَ،

وأنصرفُ إلى نفسي كلّما أضعتك.

يا صفصافَ الخبايا، يا نحوَ المكان،

ما جزيرتُكَ؟ وما ميناؤكَ؟ ما خليتكَ؟ وما

مستقرّكَ؟

يُولدُ حجرٌ، يموت حجرٌ،

حيّ على المكان.. حي

على المكان.

الحصوةُ

الصّفراءُ تدوّنُ حراشفها،

رأسها إلى

الأعلى، وذنبُها إلى الأسفل، والشّمسُ تقرأُ

كتابَ الفيء وتشيرُ :

طفلي،

ولستُ أمّه.

كن لنا أيّها الظلامُ إشارةً،

كن فيضاً وقل للكلمة :

إنّ

جوعكِ المزمن آفة نفسه،

للغيم :

انحنِ، اغسل قدميك.

أجلسُ على تخومكَ أيّها

الولهُ،

أتساءلُ من أين لا أنتهي ولا أبدأ؟

أفترضكَ طيفاً بأربعِ جهاتٍ،

وما فوق وما تحت،

والعمقُ لي، ظلالكَ الكائنات. أعيدُ للنّتوءاتِ

أثوابَها وأنزَحُ إليكَ بي .

أُقصيني وأَقتربُ منكَ إليّ .

أكتمُ كواكبي وأتّسعُ

بالصّمت ، وحدهُ

الصّمتُ

يزيدُ

اتّساعي .

أتنّحى بأقوى درجاتِ الحضور،

أتبدّدُ

أتلاشى،

وأحرّكُ الأشياءَ بالسّكون.

أتساءلُ وأستجوبُ حتّى شَعر رأسي،

أهزُّ ستائرَ الأشياء.

إلى أين تُفضي هذه السّراديبُ؟

يحرّكُ ضوءٌ شفتيه : أغمض عينيك .

ما هذا الّذي يلفُّني دفعةً واحدةً؟

أرى ما لا أراه ،

أحسُّ ما لا أحسّه.

هل الجّهلُ معرفةٌ ثانيةٌ ؟

كيفَ أعانقُ ما لا أعانقهُ ؟

كيف يعانقني ما لا يعانقني؟

أفزعُ ، أطمئنُّ ،

كيف تجتمعُ الخشية والطّمأنينة معاً ؟

أتشبّثُ بأنحائي، أنزلقُ، مَن غيري

الّذي أظنّهُ أنا ؟ من هو ؟

يدخلني، أخرجُ مني ،

أترهّلُ ،

أنسابُ ،

أشعرُ بما يتماهي فيَّ،

أشعرُ أنّي أتماهى

بسواي.

يقولُ صوتٌ :

افتح عينيك.

لا أرى إلا ضوءاً أمامي،

لا أرى إلا ضوءاً في الجّهات،

لا أرى من الجّهاتِ إلا جهةً واحدةً،

أضيّعُها وأبحثُ عنها.

أسمعُ ورائي دبيباً ثقيلاً، أنظرُ لا أرى لي

قدمين.

أفترضكَ واجدكَ،

أنفخُ في فمكَ تيهي، أكسرُ على قدميكَ اللغةَ .

لماذا كلّما حاولتُ أن أهتدي إليك، أضّيعُني؟

أتساءلُ وأستجوبُ حتّى شَعر رأسي . أشعلُ

ناراً أبتكرُ ريحاً لا تتعب .

غايتي التّنقيب عن صفاتي ،

ديانتي العاصفة،

قِبلتي الجّهاتُ

جميعها.

أريدُ ما لا أجدهُ،

يجدني ما لا أريدهُ .

أبحثُ عن اللا شيء،

أبحثُ عن الأشياءِ جميعها .

أفجّرُ الرّعشةَ الأولى،

وأعتنقُها.

أنا مسافةٌ بين جسدين،

جسدٌ أقيم فيه، وجسدٌ أخطّطُ للانتقالِ إليه .

إنّي من سلالةٍ لا تموتُ ولا تعيشُ ،

أتحرّكُ في منطقةٍ

أسمّيها الممكن .

تحولات الممكن

الرّأسُ المستطيلُ يستندُ على رمحٍ مسنٍّ

متيقظٌ هوسكَ،

وحياّ لا يكتمل ،

ويظلُّ لغزكَ

التملّصُ المستمرُّ من المكان إلى المكان.

والذّاتُ نردٌ دائريٌ يتّسع،

وملحكَ الثّباتُ أيّها الشّبقُ الحيويّ.

يُولدُ التّواجدُ من آخرِ السّلبِ مجالاً

لحضورٍ آخرَ .

قرب يوتوبيا سيميائك،

ولا يصلُ اللّهاثُ .

ذاتٌ تدورُ داخلَ عجلةِ الوصول،

أنهكها الموضوع، أنهكتها فكرتُها عن نفسها .

بحرٌ من لونٍ آخرَ، قسمَ البحرَ إلى بحرين ،

ولكلّ بحرٍ

إيحاؤه .

يجوهرُ نفسَه ويحيا بموتهِ .

ميتاً يحيا، ويولدُ ميتاً .

وهكذا يتموضعُ حبلاً معلّقاً بين جميع الجَهات ،

ويفصلها عن بعضها،

والعبورُ العميقُ، الاقترابُ بعداً، التجسّدُ نفياً .

هكذا أقرأني عنك ،

وأكتبكَ فهماً، وبيننا

الكيمياء .

علنٌ سرّيٌ ، لا تُبصرهُ ولا أُبصرهُ ،

ونراهُ كلانا، والحياةُ الميتةُ أبديةٌ

لا تموت.

القماشُ المخنوقُ بالإطار ، ليس للوحةٍ لي،

ولا للوحةٍ

لك .

وأظلُّ أتماهى ولعاً بمشاهدتكَ

حين لا أشاهدكَ .

تتقنني وأنتَ تمسكُ قوسك،

وأنا أسمعكَ

بكلّيتي.

الدّلالةُ اغتيالك وصراخي،

علاماتٌ تخشى اللّمسَ

بالحواس .

الرّأسُ البيضويُّ يرتدي بئرَ النّهمِ المدبلج ،

سطوةً لقناعته ،

ويروّجُ دائماً لملامحهِ في وجوهنا،

ويفكُّ على طريقتهِ حروفَ

المعنى .

لم يهدأ ابداً شخيركَ أيّها الفيءُ .

لماذا تركتَ المكان مكتظّاً

بالبياض؟

خذ الجسرَ وارحل، إنّهُ مثلكَ لم يمتلك نفسهُ .

أخذلكَ حين أقفزُ كالملسوعِ فوق رائحتك ،

وأُدهشني حين ألوذُ بي عنّي،

ولا أصلُ إليَّ .

لم يكن صدى،

كان المدى،

أمّا الصّوت، فلم يسمعهُ أحد .

التّيهُ في مقبرةِ الممكن ، امتحانُ النّبضِ للوقوفِ

أمام مخاضِ المستحيل .

لم يكن متّسعاً ،

كان أصغرَ من أن تتّسعَ حدقتي لرؤيتهِ ،

وهكذا قضيتُ قبل أن أراه.

فلتسامحني الأشياءُ جميعها،

الكائناتُ ،

إذا يوماً مررتُ بجوارِ نملةٍ

ولم أنحنِ لتحيتها .

هيّئيني أيّتها الدّهشةُ

حتّى أدخلَكِ مُغمَضَ

العينين .

ثقّفيني أيّتها الدّروبُ حتّى أعبُرَكِ،

دونَ أن أسيءَ

إليك .

تلاشَ أيُّها المكانُ ،

اتّسع حتّى تسكنَني .

تمهّل أيّها الّذي تؤرّقني،

لا أكادُ ألمس ذيلَ ثوبِكَ حتّى تختفي عنّي،

أريدُ فقط أن أخبركَ أنّك ضالّتي .

كم يقين يهدمني حتى أشيّدَ شكاً واحداً،

وكم شكٌّ يلغيني حتّى يُؤانسَني يقينٌ

ثابتٌ،

ولا

من بابٍ مفتوح،

لكنّ الرّيحَ أرهقت نفسها.

أنا البابُ والمفتاحُ

والصّرير،

من أين أدخلُ

في نفسي؟

أقول المابين

الوحلُ يشربُ موضوعهُ،

وأنا تأخذني السّاقية .

ما أبهى الذي ما بيننا،

يوحّدنا ويفصلنا.

أيُّها الحيادُ غطِّ ثقوبكَ ،

وافتح مساماً آخرَ إليك.

امنحني أن أراني، حتى أكونكَ بغيري.

جلسَ الفراغُ

على

قبّةِ

السّكون ،

أصبحت

اللحظةُ

حُبلى ،

هكذا استثنيتُ الأشياءَ،

وقلتُ ثمّةَ لونٌ لي،

يكسوني عارياً تماماً،

أرتديهِ ولا أشعرُهُ .

أقولُ

المابين،

كلّ إشارةٍ جهةٌ،

ما أكثر جهاتي .

أختارُ الجّهةَ التي لا تفصلُ

ولا تجمعُ،

وأقولُ :

اللّا جهةُ.. جهةٌ.

وأقولُ :

اللّا .. نعم .

أقولُ : اللّا مكان ،

مكاني وأنا سواي .

أقولُ المابين،

وأشيرُ : ثمّةَ لونٌ لي،

أختلفُ معهُ

وأتوحّدُ فيه،

أتّفقُ في اختلافي معه.

أيُّها الوجهُ القفا، أيني، بين أناي وحالي؟

هل الفصلُ يجمعُ أم يفصلُ؟

هل الجَمعُ يفصلُ أم يجمعُ؟

أقول المابين،

شَرطي لأعرفَ،

أن أجهلَ ،

شَرطي لأجهلَ ،

أن

أعرفَ .

يا سحابةُ، يا رعشةُ، يا فراشةُ،

من أيّ لا مكانٍ أكتنهُ البؤرةَ اللّحظةَ؟

وأعتقلُها بأن أمنحَ خطواتها

أن تهلوسَ رقصاً

وتكفرَ

بالقدمين .

من أيّ لا مكانٍ أغمضُ أصابعي

لكي لا ترى

بوضوحٍ،

بوضوحٍ جيد؟

من أيّ لا مكانٍ أنقّبُ

عن أفقٍ مذبوحٍ

بأن لا

يصل؟

من أيّ لا مكانٍ

أمسكُ خيطي وإبرتي،

وأهمسُ للمدى المفتوق

سأخيطُ بصري حتى أراك؟

من أيّ لا مكانٍ أقولُ للأمكنةِ :

لديني نوراً لا

يضمحلُّ؟

بكِ أرمّمُ هذا الضّوءُ المسجّى داخلي .

قلتُ أعيشُ

موتي جيداً،

ليسَ في الحياةِ إلّا الحياة .

اهدأي يا خيولَ الرّيحِ

حتى آخذَ قِسطاً من

البعيد،

عقاراً أداوي بهِ

تجاعيدَ حوافِركِ

وأحفرَ للصّدى

الذي لا يسأم :

لا أؤمنُ

بالموت .

الوحلُ يشربُ موضوعهُ،

وأنا تأخذني السّاقية .

ما أبهى الذي ما بيننا،

يوحّدُنا ويفصِلنا.

أيُّها الحيادُ

غطِّ ثقوبكَ،

وافتح مساماً آخرَ

إليك.

امنحني أن أراني،

حتّى أكونكَ بغيري.

صحتُ جسداً آخرَ،

ربّما جسدي ،

البسني ،

هيّئني للحضرةِ

ولا تتباطأ،

حتّى تظفرَ نفسي بنفسي،

وأفضَّ غشاءَ

الوقتِ الفاتر.

لك قاعي ،

ولي أن أستضيفَ الكونَ فيك،

وعلى مائدةِ الماءِ

نتساوى.

أيُّها الوحيدُ الزّاخرُ بي،

كلّما هممتُ لعناقكَ،

أفلتَ كوكبٌ

من شَعري.

أيُّها الفضاءُ الرّحمُ،

يا سيّدَ الحكمةِ :

انفخ رذاذَ الفحوى،

من الضدِّ

إلى الضدِّ إلى

المابين .

إلى الجّهةِ

الأم

تلدُ

وميضاً

أبدياً،

تلدُ رؤيةً لا تختصّ بها

العين .

أيَتها

الحروفُ

المنقوشةُ

على

قرنِ

الشمس،

اتبعيني .

إشارات

أرسمُ نجمةً.. أرسمُ نجمتين،

أقولُ لرئتي :

املأي رئتيكِ

بجعاً!

لأصابعي:

احبلي بعشرةِ

أنبياء!

للأفقِ :

أن يسيلَ قمحاً ،

يا محبّة : امنحيني فضائلكِ!

يا جسد :

أنتَ ماءُ الألوهةِ.

أنظرُ، أقولُ : أريدُ أن أشهقَ، أغشى،

وأراني أهذي

زبداً،

ايقاعاً،

طلاسماً ،

أستجمعُ أعمدتي وأقول :

أيّها الجّسدُ،

ما النّقطةُ؟

ما المستقيمُ؟

ما الفاصلةُ؟

من أيّ الأبوابِ تدخلُ الأبوابُ؟

آتيكَ لفظةً هاربةً من

حروفها،

لغةً ضدّ أبجديّتها ،

أسمّي الرّغبةَ وأصرخُ : يا لؤلؤاً، يا نرجساً ،

أيُّها الضّوءُ السّائلُ : أرشدني إليك!

دلّني على خرائطكَ ، وكن لي بحراً، وكوكباً ،

لأكفرَ ،

لأؤمنَ ،

وأرفضَ ما

جاءَ قبلك .

أقرؤكَ وأعبدُ هذا الشّيءِ الزّاحفِ نحوك ،

أصلُ هذا النّورِ اللّاهثِ حولك ،

زيتاً ،

شمعاً ،

بخوراً ،

أكسرُ

سقفَ العالم،

أجمعُ روحي وضريحي على سريرٍ واحدٍ،

وأستفسرُ، أيّها التّرابُ المؤقّتُ الأبديُّ :

كيفَ تحملُ بيدٍ واحدةٍ ناراً

وساقية؟

أرسمُ نجمةً.. أرسمُ نجمتين،

أمحو الأشياءَ دفعةً واحدةً،

لا التّلوين ولا الفرشاة ولا القماش

يطالك،

أدخلُ نوبةَ سكرٍ وأرتفع حجّةً حجّة،

أتمتمُ :

يا أقاصي.. يا أقاصي..

أتمتمُ، يا جسد :

أنت أوّلُ السّماءِ

آخرُ السّنونو .

انثرني مثل نمشٍ يا هباء،

اعتقليني أيّتها الحريّةُ ،

امنحيني وقتاً يا أراجيح، كوّنّي يا جسد،

ثمّ اتركني أشقُّ الأفقَ.

مازال أمامي متّسعٌ من الزّعفران،

وبريدٌ لم أقرأه بعد .

تجيءُ مشنقةٌ.. تروحُ مشنقةٌ،

هل الموتُ في

الحبل؟

ينادي صوتٌ

من لا جهةٍ :

هل الجّسدُ في

الجّسد؟

اعتقليني ايّتها الحريّةُ ،

امنحيني وقتاً يا أراجيح .

يستيقظُ الخشخاشُ

الأوّل،

يستحمُّ بماءِ الدّهشةِ ثمّ يتعيّنُ في

الّلا مكان .

أقشّرُ السّياجَ حلماً حلماً ،

أركنُ قُبالتي،

ونرى نحن الاثنين العالمَ بالمقلوب .

تأتي

الغيبوبةُ ،

أهذي،

يا يباس : الجسدُ سرّ الجّسد،

الجّسدُ ضدُّ

الجسد.

تأتي الغيبوبةُ،

أهذي، يا وحي : افتح نافذةً

للكون.

تأتي الغيبوبةُ،

أهذي، يا اشياءَ : ما معناكِ؟

أهذي، أنا حائلٌ بيني

وبيني،

أنا جسرٌ، اعبري

يا أبراجَ،

يا أفلاك.

أشاهدُ ما لا ينطقهُ لساني،

ما تقصّرُ عنهُ

الأصابعُ .

كيف ألمسكِ أيّتها الماهيّةُ؟

كيف أحتويكَ أيُّها الجّسدُ؟

ما النّقطةُ بيني وبين

سواي؟

أقول الجّسد، أقول اللّا جسد .

أستمرُّ وأتمتم : ك. ن. س. ع. د. م

أستمرُّ وأتمتمُ : اعتقليني أيّتها الحريّة،

امنحيني وقتاً يا أراجيح .

أركضُ مثلَ جنينٍ مسنٍّ،

أولدُ من عينٍ تابوتٍ .

لستُ بحيّ ولا ميتٍ،

أرقصُ

فوقَ القبّة .

أنا برصّ في مخيّلة الأشياء ،

يدٌ غيُر مقتنعةٍ بأصابعها،

طفلٌ يعارضُ ثدي أمّه .

ما هويّتكِ أيّتها السّنبلة؟

أيُّها الثّديُّ بمن تؤمن؟

يا انحناءات : ما صراطكُ؟

يا تفاصيل : ما الفرح ما

البكاء؟

ما هذا الوباءُ الذي يعشّشُ في الأجراسِ؟

ما ديانتكَ يا رنين؟

تجيءُ مشنقةٌ ، تروحُ مشنقةٌ ،

بحوزةِ من مفاتيحكِ يا جبال؟

تحتَ أي حجرٍ،

رموزكِ

يا أحاجي؟

هل الجّسد ابن الجّسد؟

أُغمضُ عينيّ وأقرأ كتابكَ نبيّاً نبيّاً،

أمدُّ ذراعي وأهمسُ لحواسي :

كوني مجاديف .

يصيرُ للمساماتِ عرباتٌ من النّور

تزرعُ في كلّ خليّةٍ أيقونةً، تكبرُ فورَ رحيلها.

لا

ألبث أن أحيلَ نظري ،

تطلعُ

فراشةٌ تلدُ غزالاً وتمضي،

يبدأُ شلّالٌ ،

أشهقُ :

يا حرير .

يتجمّعُ سربُ سحابٍ ،

أرسمُ نجمةً ، أرسمُ نجمتين،

أرى أطفالاً، وأجراماً ،

أراني محموماً،

أرتجفُ،

أتعرّقُ،

أشيرُ : هذا مزاري وقِبلتي،

أشيرُ: بماذا يتعمّدُ الماء؟

تفتحُ ضفّةٌ فمها، أعطشُ ،

الماءُ لا يطفئُ عطشي.

أشربُ من جهةٍ ثانيةٍ،

أقولُ : عفوكَ يا سيّدي

الماء.

اعتقليني أيّتها الحريّةُ ،

امنحيني وقتاً يا أراجيح .

أكملي يا قناديلَ طقسكِ الذي لا ينتهي .

أجلسُ قربَ مزمارِ الخلود،

تمرّ مواكبُ حيواناتٍ

تمرُّ كائناتٌ أكلت بعضها وانقرضت،

تمرُّ أصواتٌ،

وجوهٌ،

هياكلُ

عظميةٌ ،

طبولٌ،

تمرُّ قواربٌ تسبحُ في نهرٍ أسود،

كائناتٌ يشبهون البشر، لهم ذاتُ الملامح،

يحلّقُ طائرٌ سمينٌ، يرغي بلغةٍ قديمةٍ،

يغطّي ظلّهُ الجميع،

ويسحبهم معه.

أرسمُ نجمةً، أرسم نجمتين.

أعجنُ الغبارَ بمعجونِ الهلوسة ،

أركضُ حولهُ .

قومي يا أعضاءَ من سباتك،

حجّي للسّدرة المعلّقة ،

اتركي أثوابكِ يا أطياف ،

مدّي سجّادَ البطون، وادخلي في الوعلِ النّهائيّ،

أيّتُها الأشياءُ التّائهةُ اهتدي بضلالي .

اعتقليني أيّتها الحريّةُ،

امنحيني وقتاً يا أراجيح.

أرسمُ نقطةً، أمحو نقطةً، أعدو وراءَ تعويذةِ

الشّهوة .

يا فقيه الهيولى الذي لا يفنى :

قوّض الإشنيات السّبع من الهاجسِ المنخور ،

إلى الشّرخِ

البارد،

إلى الإسطبلِ

الزّجاجيّ .

يا لازوردَ الرّعشةِ ،

يا فاتحةَ القصبِ والأجنحة ، تقطّر قبّرةً قبّرة .

باسمكَ أتكلّمُ يا موت،

أنتَ قميصيَ الثّاني، أنا

حياتك الأولى .

أحفرُ ناصيةً،

أوحي بهيئةٍ،

أخلطُ بين الأرضيّةِ والشّكل،

أعطّلُ لغمَ الحيطةِ،

أناغمُ بين الضدِّ ونقيضه ،

الفصلُ وصلٌ.. أتبعُ خيطَ الشّبهةِ ،

أقودهُ ،

الدّاءُ دواءٌ .

أزيّتُ عجلاتَ الأرض،

وأقولُ لها : غيّري مكانك .

أنزعُ إسفلتَ الطّرقات

وأقول لها : غيّري أسماءك .

اعتقليني أيّتها الحريّةُ،

امنحيني وقتاً يا أراجيح .

أرسمُ نجمةً ، أرسمُ نجمتين ،

أقولُ لرئتي : املأي رئتيكِ بجعاً، لأصابعي ،

احبلي بعشرة انبياء ،

للأفقِ أن تسيلَ قمحاً،

يا محبّة : امنحيني فضائلك .

أرسمُ نجمة ، أرسمُ نجمتين ،

أمحو الأشياءَ دفعةً واحدةً ، ثمّ أرسمُ من

جديدٍ،

لا التّلوين،

ولا الفرشاة،

ولا

القماشُ يطالُك ،

أدخلُ نوبةَ سكرٍ وأرتفعُ حجّةً حجة ،

أتمتمُ :

يا أقاصي، يا أقاصي .

سيمياء

حيثُ يتكاثفُ السّديمُ قربَ البصر ،

أثيرٌ يشهقُ تحتَ اختناقي ،

أصابعٌ تمتدُّ في

المعنى ،

روحٌ تتجاوزُ الأمكنةَ

حيثُ

لا أراكِ ، أراكِ .

يتذوّقُ الخواءُ احتواءَكِ ، يتفكّكُ ، يتجمّعُ .

أن أدخلكِ حيثُ أدخلُ

انبعاثكِ في أرقي ،

انصهارَ الوقتِ

في المدى

لجوءَ الظلّ

في الظلّ،

أن أدخلكَ حيثُ أدخلُ ارتقابي

أتكوّمُ نسيجاً ، نسيجاً

الخلفُ دائماً هدوءاً .. هدوءاً

أنتِ.

أتنفّسُ صوتكِ ، يحضرُ . . يخطو قربي

قربكِ،

يغادرُ المكانَ لا يمسكني،

يفزعُ الفراغُ ، يجيءُ

تعباً ،

يتفاقمُ بذاتهِ أكثر،

ارتعاشكِ في مداخلي ،

يذوبُ في الأفقِ الملائمِ ولا يختفي ،

يجيءُ من شيءٍ آخر،

يقاربُ العمقَ ولا

يأتي .

أصعدُ الجّهةَ الأخرى درجاً لا يسأمُ،

أمتثلُ أمامي ، أحدّق فيكِ

ملءَ ذاتي ،

أُغمضُ الحلمَ،

يتشخّصُ التّجذّرُ،

أتسرّبُ فيكِ

أصيرُ لوناً .

أتململُ .. أتشظّى .. أتناثرُ .. أتماهى ..

أتشكّلُ .. أكتملُ .. أتطوّرُ .

يجيءُ شحوباً كسولاً،

أدخلُ، أخرجُ ،

يتدفّقُ شرودي ،

يذوبُ ما كان يقابلهُ ،

تفرّ الملامحُ ،

أرتديكِ أكثرَ ، أضمُّ اعتكافكِ .

أبدوكِ انهماكاً مستأنساً ،

صمتاً يتحيّنُ الإصغاء،

يرتجفُ ، يشاهدكِ ويقلق .

يقولُ بصري : يمدُّ ارتحالهُ في انتماءكِ،

يلامسُ انتباهكِ،

يحاولُ ..

يقاربُ ..

يشابهُ ..

يتفقّدكِ معنىً

معنى

يستنشقُ استواءكِ ،

يتضوّرُ ولا يأتي ،

يجيءُ فيكِ ،

يتيمّمُ ثيابكِ انعتاقُ انتمائي .

يقول حدسي : يرافقُ مفرداتكِ،

تساورُهُ العبارةُ الأولى ،

يسيرُ

أمامكِ ،

يبتلعني اشتهائي فيكِ ،

أضمّكِ بلغتي هاجساً ، هاجساً

أطبقُ ذاتي عليكِ، وأكفرُ بالجّهات .

أبدؤكِ امتداداً

خالصاً للحواس ،

صوتاً ملحداً بالكلمات ،

أترسّخُ لهاثاً ،

تصيرين مادتي ،

أصيرُ كُنهكِ

تصيرين عناقَ المناخِ والفكرة،

الأمكنة،

إكسيرَ الانصهار،

مخيّلةِ الدّيمومة ،

يتدوّرُ الوقتُ في الوقتِ في الوقت

يذوبُ، نصيرُ العالمُ ،

نصيرُ أنفسنا وغيرنا ،

أيّتها السّاقيةُ

طوبى للماء

طوبى للمجرى .

خَلقْ

أغريكَ أيُّها الفعلُ وأحملكَ على ظهري حُزمةً

جدوى ،

وأهربُ دائماً بعكسِ الجّهات .

طائلٌ فيكَ أن انافسَ نفسي،

أن اضاهيَ ورعي،

وأؤسّسَ سريراً لأطفالكَ

ولي ، من بعدي .

أن تجتمعَ أنا النّحنُ تحتَ سروكَ المحض،

أن اصرخَ : أيّها المعنى اهبط بنا حتّى نرتفعَ فيك

إليك .

قلتني : جئتُ أعرف، وأعطيتني صفاتك ،

إزميلاً من الضّوءِ ، واستشارةً لا تنضب .

ولكَ ما ملَكَت يداك ، فلا تحصي ما لا يحصى .

بيني وبينك وحدةٌ خالصةٌ ، لا يكفي أن تنظرَ في

المرآةِ حتّى تراني ،

اكسرها، وانظر إليك ،

فيكَ خيطي .. انظركَ ، انظرني .

وأراني في أحاييٍن كثيرةٍ

أرى قبلي أرى بعدي ، أراني هؤلاء .

ولكَ إلياد نورٌ بقدمي فهدٍ وجذعُ امرأةٍ

ابن نفسه، هو الطّافحُ بمحيطك .

وقال : لهُ ابناءٌ كثرٌ لم يلتقوا بعد ،

وقال : لهُ آباءٌ كثرٌ التقوا مرةً وتطايروا بالأصقاع ،

وقال : الرّجلُ امرأةٌ، لذلك فهم لا يتمايزون ،

قال : منهم دانيال ومهيار

يزرعون في الأرض دودةَ السّلام ،

يرحلون بالعكس ويموتون بالعكس ،

يعلّمون علمَ الأبد الكليّ ،

أشباههم هم أنفسهم

بدورة سابقة أو لاحقة .

أصغِ ، بين صدغيك الأمس .. الآن .. غداً .

اصمت ، صمتكَ معراجك .

انظر ، العالم ذاتُكَ معكوسةً .

تطهَّر فيه ،

تَصل إليه .

لا شيءَ محجوبٌ عنك ،

البصيرةُ مغرفةُ البصر .

.. نورٌ

بقدمي فهدٍ، وجذعُ امرأةٍ

ابن نفسه ، هو الطّافح بمحيطك .

حين تغطّي الرّيحُ وجهَها

افتح لها نوافذكَ .

حين لا يكتملُ البدرُ

اذهب إليه وأقنعهُ بالاكتمال .

لا تدخل في بطن المدار عارياً ،

ابقَ مكانك، وقل له كن ثوباً.

قبل أن تطلبَ من المكان أن يغيرَ عناوينهُ ،

علّمهُ أن يقرأ كتاباً.

أحملكَ أيُها الفعلُ على ظهري وأسيرُ صوبَ

أقاصيك ،

أتزوّجُ مجاهيلك ،

وتغدقُ عليّ احتمالاتِكَ ،

أخبُزكَ شعاعاً لطيفاً ،

لأطفالي الذين لم يجيئوا ،

لأطفالي الذين جاؤوا قبلي .

أتدوّرُ حولَك وأقول : أنت نقطتي .

تشربني وأقول : أنتَ عطشي النهائي .

أكسرُ قفل السعادةِ ،

أروّضُ الأشياءَ وأمليها أسماءَك .

وقلتني نبضاً آدمياً وساويتني بنفسك .

سرّكُ الرغبةُ ،

وإكسيركَ الإرادة ،

حكمتكَ فيك .

قل لانتباهك : كن فجراً .. يكون .

قل لولوجكَ : بدّد ضبابكَ .. يتبدد .

قل للشمس : أنا جنينكِ الأزليّ .

وارتسمَ ليَ المدَى كفناً ،

فخرجتُ على النّاسِ أقول : جوعوا للحريّةِ ،

أنتم عبيدُ أحوالكم .

وشاهدتَ نجماً نفذت إليهِ الغوايةُ ،

وشاهدتُ حجراً يقول لصغارهِ :

كان أجدادنا يقولون : تباركوا بكلّ شيءٍ كي

تطيروا.

كنّا من سلالةٍ كانت تطيرُ جمعاً ،

والآن

يطيرونَ فُرادى .

واشتهيتُ أن أعرفَ ، فأغمضتُ عينيّ

وقلتُ لأصابعي : كوّري هديرَ الوقت ،

واسلخي جلدَ المكان ،

انثري في

الأرجاءِ زغبكِ الساخن ،

وقولي للسّطح : قوّم اعوجاجك ،

قولي

للميل : لا تسجد كذبابة .

بكل ما أوتيتِ من قوسِ الرّغبةِ ،

قولي للمدار : تناثر خرزاً .

أيّتها القملةُ الكونيةُ ما حجتكُ؟

أيتها الأشكالُ ، بدّلي أشكالكِ ،

وأنتَ أيُّها الغبارُ تفاقم .

يُضرَبُ رمحٌ

يكسرُ رمحٌ ،

الماءُ إسارُ البحرِ وحريّتهُ ،

قلقٌ على سورِ الحياةِ متأرجحاً ،

قدمٌ في اللّاشيء

وقدمٌ في كلّ الأشياء .

أيّها الكوكبُ

الرّخو

من أين

لي أن

أسمّيك؟

كيف أعطيك هُويةً؟

من أيّ زاويةٍ أنظرُ إليك؟

ما أعراضُك؟

يُضرَب رمحٌ، يكسر رمحٌ ،

يُولد طفلٌ، يموتُ نبيٌّ ،

من صدّقَ النيزك وكذّبَ لهفتَنا؟

ما تفيدني ترتيلةٌ للذي لا يأتي؟

أريدُ الذي يأتي .

يُولد طفلٌ ، يموت نبيٌّ ،

ينخفض رحمٌ ، يرتفع رحمٌ ،

يرتفعُ رحمٌ ، ينخفضُ رحمٌ .

كيف يفاضلُ البجع بين هاويتين؟

أيّهما أجدى، موتٌ مستطيلٌ أم موتٌ مربعٌ؟

يُضربُ رمحٌ ، يكسر رمحٌ

والدّائرةُ ضدّ مركزها ،

والنهر هاربٌ من

مجراه ،

من أفلتَ من الآخر، الماءُ أم المجرى؟

أنادي ملءَ الصوت ، يا رغوةَ الكرةِ الأرضيّة،

يا أسيدَ اللّذةِ الحامض ،

انسكب بمداخلَ الفطنةِ وقل للمحرقةِ : احترقي

بما فيكِ ،

للرّنين الثّابت الدّائم : اجلس على فوّهةِ الكون ،

ونادي : يا معرفة تناسلي ، اكتملي .

قل للبُحَةِ الأرضيّة : جدّلي شبقك ،

قولي لأعضائكِ أن تفكر ،

لا تحبسي سُعالك في زجاجةِ للغيب ،

تتحنّطُ الفكرةُ في صورتها ،

حرّريها من ذهنيّتها .

أنادي ملءَ الخزفِ المصقول :

أيّتها المنظومةُ العظيمةُ ، أنا قيمةٌ فيكِ .

أحاولُ أن أكتسيَ بكِ أيّتها المشاهدة،

أن تتزيّني بي أيّتُها الحواس ،

أن أقولَ للشّمعة : استنيري بي،

أن أقول للبوصلة : اتبعيني .

أحاولُ أن أَهدي إليَّ الهدايةَ ،

وأقولُ للجهات : اتّحدي ،

أقول للأرض : ارتفعي ،

وللسماء : انخفضي .

بكلّ كينونةٍ خلقٌ لا يتوقّفُ عن الفعل ،

مقيماً بكلّ الأشياء، هو هي .

أحملكَ أيّها الفعلُ ، وأطوفُ بكَ الأبعادَ ،

أدخلُ كيمياءك ، وتغمرني بالأسئلة ،

أعرفكَ؟ لا أعرفك ،

أكتشفكَ .. أضيّعكَ .. أجمعكَ ، تنثرني ،

أنثركَ ، تجمعني .

أبدأُ بلفظِ حروفَ اسمكَ ، أنسى اسمي ،

أهمس : المعنى . أجرّني إليك

تلهثُ مخيّلتي

أفتحُ نافذةً ،

أغلقُ نافذةً ،

أجتازُ

أتراجعُ

أكملُ

أتردّدُ

تحبلُ دهشتي

أتيّقنُ

أنقضُ

أصممُ

أشكُ

أقولُ :

ابتلعيني أيّتها

الشّمس، أنا حفيدك .

أطيعُ نهمي وأؤمنُ بهِ ،

أنمو مثلَ سهمٍ لا يصل ،

وأعدو خلفي .

أقول للأشياء : الحقي بي ، وأركضُ معها .

ليس غايتي أن أصل ،

غايتي أن لا أصل .

تابو

لي الجثّةُ ،

ولكَ المكان ،

وللأفقِ الصدئ ، تعوي

الأراجيح .

أصواتٌ

ظلمةٌ

آلهةٌ

صفيرٌ

عناكب

كبريتٌ للشّفاهِ المتعفنة ،

بريدٌ مسدلٌ للمدى المكسور ،

هكذا العالم من حولي .

هاهنا، حينَ لا أتّحدُ بنفسي ،

بل أتفكّكُ قبواً .. قبواً .

حيث الأضداد طقسٌ رخوٌ للأثيرِ المقعَّر .

إنّهُ الفضاءِ الخام لمعنىً اسمهُ السكون .

خرجَ إلياذُ من القبرِ بثوبٍ ونجمةٍ ،

عادَ عارياً من كلّ شيءٍ ، حتّى من صوتِهِ .

لم يكنِ البحرُ مجالاً لصراخه ، كان

لوحاً للفيضِ المشّوه .

هل يستطيعُ الماءُ أن يعانقَ نفسهُ ؟

أين يدفنُ الميتُ أحلامَهُ ؟

ماذا تستطيعُ الرّيحُ وهي هاربةً أن تحملَ معها

أكثرَ من نفسها؟

إلياذُ برزخٌ ، بين ما سيجيءُ وما لن يعودَ أبداً .

قال : الحياةُ تجويفٌ بين سنامين ،

وترٌ مشدودٌ بين هاويتين ،

والمعنى ليس بخواءِ يديك، بل بصفرِ أحوالك ،

والقبحُ يُولدُ من لُدنهِ .

إلياذُ طيفٌ يمرُّ في الدُّهور ،

قال : بداخلي يعشّشُ السّيمرغ

أنا شجرةٌ لهُ ، وهو طائرٌ لي .

لم يكن يرسمُ قمراً لدهشتنا ،

كانت تتكوّرُ الكواكبُ بين يديه .

إنّه الولادةُ المستمرّةُ ،

قال : أرى نفسي أولدُ من نفسي .

إلياد ،

يا ورمَ المعنى .

طوبوغرافيا

الليلُ يحتفي بشبقِ الضوء على ورم الأغاني .

الأرصفةُ تحتفي بزبدِ الخطواتِ تحت الخطوات

العاقرة .

الأمكنةُ تحتفي بعريّها ،

وأنا تحتفي بيَ اللّقطاتُ مشهداً إضافياً

يسخرُ على قارعةِ النبضِ الدائريّ .

بي دائماً مساحاتٌ لم يمسسها وقعُكَ المنمّق ،

كأنَّكَ ولدتَ كي لا تراها ،

وكأنَّني جئتُ كي أرمّمَ انتباهك .

وبي دائماً منكَ

مداراتٌ، جهاتٌ محاصرةٌ بفكرتها ،

أسقفٌ متشابهةٌ ،

وجهاتُ نظرٍ ، حكمةٌ خالصةٌ ،

آلهةٌ تتبرّج .

الوحلُ يبدأ فيكَ وحشاً جداريّاً ،

ويكتملُ بكَ جسداً يأكل نفسَه .

الأرضُ صليبٌ،

مربعٌ، مثلثٌ ،

وكلٌ منّا مسيحٌ على طريقتهِ .

وكلّما اتّسعَ كهنوتُ الكلام ، ضاقَ على نفسهِ

المعنى .

سأكونُ جميلاً بمفردي ،

هكذا قلتَ ، وهكذا تمسكُ الذَّاتُ مبضعها

وتشرّحُ المدى .

لك ضفافٌ لا يحدّها حدٌّ ،

ولي حدودٌ انتحرت على درجِ الأفق .

يشبهنا التّيه جميعاً ،

أَمسكَ ،

بئرٌ مرميةٌ في اهتمامِ الدّلو ،

برُّك،

بحرٌ لا يكفُ عن التّأوهِ شهوةً ..

وقتاً .. لهاثاً .. نبوءةً ..

طوفاناً ..

عشبةُ معرفةٍ .. كتاباً أبيضَ يُقرأُ على عجلٍ من

نهمِ الخطيئة ،

وأنت الحاصلُ الكاملُ ،

وأنا من معاشرةِ الأزمنةِ ،

أولدُ ، كلاً أخرسَ .. أوبئةً تتعاطى اللغات .

نحن المأخوذون بالهديرِ دوماً ،

وأنتَ أيها الطحلبيُّ التفاصيل ، كينونةُ الرّطوبة

والغبار .

الجبل لا يستطيع أن يرى قدميه ،

هكذا غريزة الارتفاع .

لا تشهق ، إذا ضاقَ عليكَ البحر، هيّئ له

رئتين .

ما يعلوكَ يرتفعُ تحتي ، وما ينخفضُ فوقك

ينسابُ بالقربِ من اعوجاجِ السطح ،

ليس لك إلا ..

لكَ سريرٌ واحدٌ أرضُهُ الحصار .

ليس لكَ ما تملك .. بل يملككَ ما ليس لك .

اخرج إلى البحرِ قزحاً ، شعشاعاً ،

كي أجدك لوتساً ورعاً، ينقعُ ذاكرتهُ بكحولِ

الهمس ،

ويعاقبُ النسيانَ بالتذكّر

والتذكّرَ بالنسيان .

اخرج إلى الخروجِ فأساً لمّاحاً

ينهلُ من كل هديلٍ شرشفاً

يغطّي به الكواكب ، يعرّي بهِ اللحظات ،

يرسمُ ولا يكتفي

بحنجرته ،

يطلبُ عون النّبات .

اخرج إلى ذاتك علناً ،

واحضن العالَم من الخلف ، إنه علنُك ، إنهُ

سركَ الأكثرُ أنانيةً .

هذا ما قالتهُ السنديانةُ الهرمة ،

يتقوّسُ ظهرُ المكان ، ويسيرُ التّنفسُ متّكئاً على

جرسِ الوليمة ،

أمّا ما تدعوها ذاتك ، فهي دائماً معجونةٌ (بأكزيما)

الجهات .

من ذاكرةِ الغبار يطلع زحفٌ لا شخصيٌّ ،

يسكنُ هنا ،

يسكن هناك ،

يلبسُ قبّعةَ المعنى ،

يلوّحُ بالجوهرِ الصّلب ، يدهنُ وجههُ بزيتِ

الحكمة ،

والأيدي الأرامل على رعشةٍ دائمةٍ

للذّهاب إليه .

أستأصلكَ أيّها العالمُ من قيحِ الحلمِ المستطيل ،

ثمّةَ جثّةٌ توسّس رائحتَك ، وثمّةَ معنىً يؤسّس

اكتفائي بذاتي .

يترهّلُ البصرُ على جسدِ المكان

صوتٌ أعرجٌ ينخرُ الشّكلَ المماثلَ ،

فهرسُ الكواليس، أقاليم تنمو .

أشحنُ العناوينَ إلى كل حفرةٍ ،

وأفاجئُ الوصولَ بأن أسبقهُ إلى هذيانه ،

يرتدي وباءَه، ويرتفع حجراً حجراً ،

هكذا أؤوّل المعنى المريض،

وأجرّ الأشياءَ إليهِ

بعكسه .

ثنائية الأنا واللا أنا

إذ بيني وبينكَ ما لا يعبُر

وتظلّ تردّد أعمدتُك : أنّي رهنُ ارتباطك،

وتواظبُ على تدفقها الصخريّ في أوردةِ

الفضاء .

وهكذا، تمشي السّيرورةُ على عكّازينِ من فراغ ،

وتهبُني فائضَ أمكنة.

إذ أغادركَ ،متسمّراً فيك ،

وأظلُّ أسكنُ وهمَ حريّتي .

بتدحرجكَ الأرضيّ ، أظلّ أحكمُك بالعدم ،

وتظلّ تحكمُني بالفرار .

ولا نلتقي أبداً إلا في زخمِ تناحرنا.

أبنيكَ بقدْرِ ما تهدمُني ،

وأردُّ عليك دائماً بأغنية ،

فلا أعبُرُكَ ولا تعبُرُني ،

ويدكَ ويدي ، ترسّخُ معنى التناقض .

ولا نكتفي

حمّى الأمكنة جسدٌ، قبّته نطفةٌ أيديولوجية.

ريثما

بينما

عندما،

ثلاثيةٌ لأيّ تكوُّنٍ .

التنفسُ همزةُ وصلٍ بين الوقت وثوبِ الوقت.

الأجسادُ أعضاءٌ لجسدِ العالم ،

والدّورةُ بكاملها ترسمُ الأبد.

مدارات المكان والتحول

اللغةُ المكتنزةُ بالخواء ،

لا تتّسعُ لجثّةٍ أكبرُ من الصَّدى .

أبداً ،

أيّها المارّون تحت اللونِ العميق للتناوب،

لا تستأنسوا الملَ المتثائبَ تحت قبّعةِ الرّصيف.

مطرٌ أزرقُ العينينِ ،

يدخلُ خلفَ الخلفِ ،

ووصفٌ شبحيٌّ يقفُ حائلاً على الجّهةِ الأخرى .

الشّارعُ يرفعُ قدمَه اليمنى،

الذّاتُ تخفضُ يدها اليسرى ،

الجذعُ يسقطُ في التصاقهِ، حلمٌ كهلٌ يسردُ

الرّغبات .

هو التحنُّطُ المشعُّ، يُهضم في معدة الحضارة.

على الأريكةِ البنفسجية،

يقبعُ انهماكٌ لا يسأم ،

على الأريكةِ ذاتها ينامُ المعنى .

مداراتُ المكان والتحوّل،

ضدٌّ ثاقبٌ ..

إفلاتُ الدّيمومةِ من سرّها ،

الانبعاثُ يدخلُ في العين ،

وما ورائي .. ما ورائكم .

أيّتها الكائناتُ ، لا تتّسعُ الحدقةُ لبصرها .

التّنفسُ، ليس بالضّرورةِ أن يُفسّر .

المفاهيمُ ،

الأدواتُ ،

المفرداتُ،

الصَّيرورة،

تحرّشٌ بصريٌّ .

الهوّةُ بين الذّاتِ والعدم ،

السرابُ الماثلُ تحت الهاوية ،

هاويةٌ أخرى .

الضّريحُ الهاربُ ،

الفرارُ الذهني ،

صليبُنا.

أيّها المارّون قرب الجدار،

يموجُ التخبّطُ تحت السّقف،

والملحُ البارِدُ تحت القارات، يأخذُ شكلاً دائريًّ

الجدل .

أيّها القلقون تحت الشّمع ، المربع ، المثلث

المستطيل ، السّلالة .

الحصون،

لا تحمي أبداً.

البصرُ ، السمعُ ،

الصوت ،

لا تحمي أبداً.

البدءُ ليس في البدء .

الثقبُ ليس في الثقب .

القبرُ الأكثر اتساعاً ، الأكثرُ ضيقاً .

ما من مكانٍ ينتظرُ في الجّهات ،

والتّنفسُ ، هو غذاءُ الصّدى .

يهيمُ اللجوءُ بالفكرةِ ، ويظلُّ لاجئاً بالفكرة .

كن حيًّاً أيّها الهاجسُ السّائرُ في الأرق .

خذ شهيقك قبلَ الموت ،

تأبّط كفَنَكَ ،

وازفر الظِّلال .

الإطارُ المذهَّب

يدعوك إلى الاقتناء،

فانحفر في

اكتشافك الخافت أيها المحدودبُ المعنى .

تكوّر في

افتراضك.

يتدحرجُ المكان ،

ينزلقُ في المفردات ،

يسقط حتى

أقصاه.

يخرجُ النيلوفر من

منظومتهِ ويعتنقُ ارتداده فينا .

المأزقُ المنضّد

يعتقدُ ما لا يرى أو يريد .

الهواءُ المحاصرُ

بالطّواحين سيغتالهُ التّكرار.

الأذهانُ

المرصوفةُ على الألواح، لا تنجزُ إلا نفسها.

يتكلّم النفيُ،

يصغي التَّجسُّدُ .

التَّصريح، خيانةٌ

للمعنى .

مدارات المكان

والتحوّل،

ضدٌّ ثاقبٌ ،

إفلاتُ الدّيمومةِ من سرّها

وما ورائي ما وراءكم .

برزخ

إذ نهيئُ للّيلِ قصبةَ الرَّغبةِ ارتفاعاً ،

وندعو الدَّهشةَ عرشَ الجوار ،

إذ ثمَّةَ ريحٌ تقصي انتباهها دماً ،

وتطوي كوكبها سراباً.. سراباً .

إذ نهيئُ عدَّةَ المخَاض،

وزيتَ الاستعارة.

احتفِ بنا أيّها العدم،

الوقت.. الوقت .

اصغِ لقيءِ الحوافرِ أيُّها الوهمُ الزَّفير .

هذه شارةُ زحفِ الأوعية ،

تشي بالجلْدِ الذي يتقشَّر

وتَظفرُ بقدَّاسها.

ها هو الموتُ ينمو ،

البخارُ ينسحب ،

الأفقُ يستجيب ،

ها هو العِناقُ ينسّجُ الرُّؤيا .

انضوِ بمعناكَ أيُّها الخالقُ المخلوقُ، المخلوقُ

الخالقُ .

تآخي يا بروجَ الطيف ،

تحقّقي أيّتها المشاهدة .

واصل تبعثركَ يا حجرَ الولهِ فوق نشيدِ المتاهة ،

واصطفيني لنفسكِ أيّتها النّهايةُ البدايةُ النهاية،

سحابةً كأنّها

الكوكبُ اليتيمُ ،

لا تحظى إلا بيتمها،

كأنَّها طبيعةٌ من طبيعةٍ ثانيةٍ تبحث عن

مدارها.

إذ نعقدُ تهاويلنا ، إليكَ يا غيب ،

كلُّ صرخةٍ فضاءٌ ،

ما أوسعكَ أيُّها السَّديمُ ، ما أثقلكَ أيّها

الأثير ،

والأرض تضيق ، تضيقُ .

ملطَّخةٌ بكَ أوصالي ،

كلُّ كلمةٍ طعنةٌ ، كلُّ طعنةٍ فجرٌ في جنازته

يا حلم ، عانق جثَّةَ الرّيحِ مثواك .

وأنتِ أيَّتها الحفرةُ البيضاءُ يا رايتي ، اندملي

فيَّ ،

إنَّني أتكسَّرُ فيكِ .

احتشدي بي ، إنَّني أتطايرُ جهةً .. جهةً .

أيَّتها المعصيةُ، ها أنا هبوط .

هذه شارةٌ زحفِ الأوعية،

تشي بالجلد الذي يتقشَّر، وتظفَر بقذَاسها ،

تقدَّمي أيَّتها الجيوشُ ،

يا حواسي .

إشراق

فيك يبدأ تطوُّر الأشياءِ

وتتَّحدُ العناصر ،

هيّئ لي الصيغةَ ، عمّقني حتَّى أتوحَّدَ فيك ،

وتلملمُ الرُّوحُ دروبَ هذا الشَّتات .

أيقظني مجدَّداً دائماً حتّى يتَّسعَ هذا الفضاء،

ويؤمنُ بي هذا المكان .

هكذا أزدادُ بكَ ارتفاعاً ،

هكذا أنحني فيك علواً ،

ويصبحُ للرَّعشةِ طعمَ التَّماسك،

طعم البياض الممتلئ بالعتمة .

أعيشُ الاحتواءَ، أعيشكَ ،

أكونُ نفسي ،

معاً نؤسّس لحلمٍ لا يموت،

ولا يتوقفُ عن الولادة ،

هكذا نصبحُ طموح

اللون الكلمة،

نهم السّماء بالأرض،

ولع الأرض بالسماء .

فيكَ يبدأُ تطوّرِ الأشياءِ جميعها ،

وتتبلورُ الخلاصة ،

بصراً شاخصاً

إلى نفسه،

حلماً يحلمُ أن لا يتحقق،

ماءً لا يطفو ولا يغرق يطلب دائماً أن يظلَّ

ماء.

ارفعني بأعمدتكَ ، أكادُ أن

أرى وجهي صورتكَ ،

أراني مسقوفاً بصوتك ، مكتظّاً بقبّتي ،

يا حارسَ الأبراجِ التي لا تنام،

يا رعشةَ الجهاتِ والصَّواري،

أيُّها المدارُ الأنثى،

أيُّها المدارُ

الذَّكر،

لي جهةٌ لا تضيقُ ولا تتَّسعُ،

لي طريقٌ تذرفُ الخطوات،

موغلة في ذاتها ،

لي ناعورةُ الوقتِ وهذا السَّديم ،

يا عجينةَ المعنى،

أمنحكُ شكلاً ،

امنحيني أن اكونَ اسمي .

فَواصِل

I.

بحرٌ للّذي يشرب، حلمٌ للذي ينام،

فيا خطوطَ العرضِ والطول، احبلي بيقينٍ

محض. ويا بؤرةَ السقوطِ الصَّلب، امنحي

اللحظةَ احتمالاً آخر .

II.

ليسَ كلٌ من خذلتهُ الجَهاتُ مسيحاً.

III.

القتيلُ دائماً لا يموت.. من يموت هو نظرتُنا.

IV.

يتدحرجُ القلمُ على النّافذة،

يرسمُ غيوماً، يرسمُ غروباً،

فتظنّ أنَّكَ رسمت الأفق.

V.

من ثقبٍ ما في جسدي، سكَبت لي موعدَها

السَّاخن.

من ثقبٍ ما في جسدي، تأخرتُ.

VI.

كان علينا أن نخرجَ عن بلاغةِ الأصابع،

كان علينا الصّراخ.

VII.

لا شيءَ منشودٌ بعيني فأسٍ سوى شجرة.

VIII.

اسرج حصانكَ وامضِ،

لن تأتي المعاركُ لنجدتكَ،

فكن سيِّد معركتك.

IX.

لا تكن خادمَ التفاصيلِ الميتة،

كن سيِّد الأجزاءِ العظيمة.

X.

أنا، قبلَ أمي، خرجتُ من سرّي إلهاً مجفَّفاً ،

أنا اللا شيء ما أجملَ عدمي.. وما اصعبَ

إدراكي.

XI.

يا صديقي التّمثال، الخرافةُ الخرافة، هي ظنّك

أنك قادرٌ على رؤيةِ ظلك.

XII.

ما من جدوى لمكوثي بين الأصابع،

هكذا قال ليَ الصّليب : إنّ يوسفَ كان طاعناً في

الحلم .

XIII.

عبثٌ وجودكِ.. عبثٌ وجودي.. وعبثٌ

غناؤنا في الليلِ قرب المقابر.. وعبثٌ بكاؤنا

السريُّ قرب دهشتنا.

XIV.

أنتَ الهشاشةُ بأكملها، وأنا الهراءُ المروَّضُ،

أما هؤلاء القابعون على الإسفلت، كلُّ الأسماءِ

كبيرةٌ عليهم . إذاً، فالحماقةُ جوهرُ الأشياء.

XV.

بدّل حواسك.. بالرّمل..

بالغيم.. بالشجر.. إنّي اراك في العالم،

أرى العالم فيك.

XVI.

أيُّها الصُّراخُ الطَّويل، تناثر في الأقاصي وقل

للمكان الصَّليب : أنا لستُ يسوعك.

XVII.

أيَّتها الظُّلمة، ادخلي بخطواتٍ ثاقبةٍ في مفاصل

المكان ..

مدّي وشاحك فوق العالم حتّى يتعلّم أن يقرأ

بقلبه الحياة.

XVIII.

كلمةٌ واحدةٌ انسابت على شفةِ الأرض..

المعنى.

XIX.

أنا شهيدكِ على الجهاتِ أواصلُ أغنيتي.

XX.

كلَّما ازدادَ رحيلكِ، ازدادَ الحلمُ هشاشةً.

XXI.

تعالي أيَّتها الظلال نتفاوضُ أنا وأنت واللا

شيء، انا أرتدي وحلي الأكاديمي وأنت ترتدين

فستانك السرّي. تمثالٌ أخرسٌ وجثَّةٌ من سلالةٍ

عريقة، تعالي نقتحم تشبُّثنا بالحياة .

XXII.

كوني رئة الآتي وحنجرة الأرض، كوني الجّهة

التي لا تضرمُ الغياب في الجسد السَّراب.

XXIII.

يغسلُ الوقتُ وجههُ مرتين، حين يولد وحين

يموت .. وما ببين الليل والنَّهار تجاعيد الأبديّة .

XXIV.

أنتحلكَ أيُّها العدم وأناهضُ نفسي.

XXV.

من أين جاءَ البحرُ بالبحر، بالموج، بالمراكب،

بالأغاني المستهترة .

XXVI.

هنا أكونُ سيّد معركتي بأن أكون أول الجرحى

وآخرُ من لا يموت ، بأن أصبح مضرَّجاً

بولادتي .

XXVII.

يتلو لي البياضُ ناصيةً ، لا حدود لي، فكن

مثلي جثَّةً لا يتسعُ لها المدى .. كن ميتاً كبيراً ..

كبيرا .

XXVIII.

هناك حيثُ لا أحد، أجدكَ دائماً ويتّضحُ

الأبد .

XXIX.

أيُّها الموتُ تمهّل، انتظر قليلاً. حتى أرتدي أسنلتي .

XXX.

جسدي يرسمني، ويُملي علي اللون، اخترني

أيُّها الهباء .

XXXI.

يا صدى: أنا كتابُ انتباهك، اسحب سيفَ

المكان من حلمي ، مازالَ في الرّوحِ نبضٌ بطيءٌ،

ولعلَّ الحياةَ فيّ تحيا إذا آمنَتْ بشهيقِ خُطاك.

XXXII.

لتختبر غناكَ أو فقركَ، أغمض عينيك .

XXXIII.

القيثارةُ المحنَّطة لا تؤمنُ بالمنطق .

XXXIV.

الخطوةُ زهرةُ تردّدٍ في إناءِ المسافة، والدَّربُ

ارتجال .

XXXV.

ينقصكَ دائماً أن لا تكتمل، هكذا تتفتَّتُ

الاحتمالاتُ على تنفسِ خطواتك .

الفهرس

هذه هي معموديتي 4

تشكيل 13

تحولات الممكن 22

أقول المابين 27

إشارات 33

سيمياء 44

خلق 49

تابو 57

طبوغرافيا 59

ثنائية الأنا واللا أنا 64

مدارات المكان والتحول 66

برزخ 70

إشراق 72

فواصل 74